شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها

علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

HOSSAM MAGHRABY

بعض الوثائق الأصلية تالفة

HOSSAM MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

بالرسالة صفحات

لم ترد بالأصل

HOSSAM MAGHRABY

جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

٣ / ٢٤٩

B16522

٩٤

أدب الدعاء في صدر الإسلام

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الآداب

بإشراف الأستاذ الدكتور : عمر موسى باشا

إعداد الطالب: سلطان الحريري

١٤١٥ - ١٤١٦ هـ

١٩٩٥ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

((اللهم ، يامن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، لكل مسألة منك سمع حاضر ، وجواب عتيد ، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ..

اللهم ارزقني عقلا" كاملا" ، ولبا" راجحا" ، وقلبا" زكيا" ، وعلما" كثيرا" ، وأدبا" بارعا" ، واجعل ذلك كله لي ، ولاتجعله علي ، اللهم اعصمني من الزلل وسددني إلى طريق الحق يا أرحم الراحمين .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عكف دارسو اللغة والأدب على دراسة الشعر بوصفه الشاهد الأمين على عبقرية العرب ، والمثل الأرفع للفنون العربيّة عبر عصورها المختلفة ، وكان حظّ النثر العربيّ من الدراسة أقلّ بكثير من حظّ الشعر على مافيه من غنى لفظيّ ومعنويّ .

ومن بين تلك الفنون النثريّة التي تخطّاها الكتّاب والباحثون (الدعاء الإسلاميّ) ذلك الأثر الفنيّ الغنيّ بعناصره الفنيّة والمعنويّة ، الذي آتى أكله مع بزوغ شمس البعثة النبويّة ، وكان واحدا من تلك الظواهر المميزة للدين الإسلاميّ ، ولايخفى على الباحث المحقق في هذا المجال أنّ هناك صلات وثيقة ، وعلاقات وشيجة بين أدب اللسان العربي وبين هذا الدين الخالد ، والقرآن الكريم بإعجازه البلاغيّ ، والحديث النبويّ الشريف بعلوبلاغته وسموها دليلان واضحان على عمق تلك الصلات ، وأثرها في تطور العلوم الفقهيّة واللغويّة عند العرب منذ بداية البعثة النبويّة إلى عصرنا الحاضر فقد كانا وما زالا مادة ثرة يستقي منها العلماء ، والأدباء ، والبلغاء مادة علمهم وأدبهم وبلاغتهم .

وقد اخترت ((أدب الدعاء في صدر الإسلام)) مادة لبحثي لأسباب منها : أنّ الأدعية المأثورة تحتل بالإضافة إلى قيمها الروحيّة والنفسيّة وخصائصها المعنويّة ، أعلى مكانة أدبيّة بين الآداب الإسلاميّة ، وغير الإسلاميّة ينقطع نظيرها في الآداب البشرية ، وتعبر عن العواطف والمشاعر النقية للداعي ، وتعيش معه ومع واقعه المحسوس ، وتطلعه على عالم المثال ، منطلقاً من الفطرة السوية التي تنمو في أحضان الإيمان وتعبر عنه .

ومنها أنّ هذا الموضوع لم تصل إليه أقلام الكتاب والباحثين إلا بالجمع والتدوين • فنحن نجد في مصادرنا التراثيّة والدينيّة والأدبيّة طائفة كبيرة من الأدعية توشك أن تذهب بحظّ كبير منها تتعدد فيها الأغراض تعدد ألوان الحياة الإسلاميّة ، ولانجد من أولاها عناية أدبية أو درسها دراسة .فنيّة مستقلة تكشف عن الكنوز الدفينة في الدعاء حيث يعبر القلب بأفصح لغة ، وأنقى أدب ، ويكون المتلقي فيها خالق الكون – جلّ وعلا – يستغني فيه الداعي عمّا يشبه مكاتبات الناس فيما بينهم ، فيخاطب قلبه ، ويتناجى مع مشاعره ، ويتحدث مع عواطفه دون أدنى حساب للسامع • فأردتها محاولة لدراسة مستفيضة حول الدعاء من وجهة نظر أدبيّة •

ومنها : أنّ هذا الأدب يتناول بالدراسة أعظم أثرين أدبيين عرفهما الناس وهما القرآن الكريم ، وحديث رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وسلّم – بما يحتويان من درر الدعاء على ألسنة الأنبياء والمرسلين ، ودعاء رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – الصادر عن لسانه والذي يمثل معجزة أدبيّة فذة تجري على لسان الوحي الإلهيّ ، وعمق امتلك ناصية البلاغة ، فأيّ تأثير سيكون لهذا الفن ؟ •

ومنها : أن هذه الدراسة تتناول فترة صدر الإسلام ، بما احتوته من مآثر ومنجزات والتي شكّلت القاعدة العظيمة الراسخة لكثير من الآداب ، بما تحمله من معان إنسانيّة وما تبرزه من خصائص نفسيّة وشعوريّة ومواقف فكريّة في تناول الحياة واستقبال أحداثها ، فتصبح بذلك إعادة الماضي غاية بذاتها ، مستوحاة من مصالح راهنة يعيشها كلّ إنسان ، وفي أيّ عصر كان ، حيث عبر الأدب الإسلاميّ عن فطرة الإنسان فكان أدبا إنسانيا يجول في طبيعة الإنسان الذي يأمل في تحقيق الخير وإشاعة النور ...

وقد اعتمدت في البحث الأدعية النثرية دون الشعرية ، حيث تجمعت لديّ مادة غزيرة منها ، تنهض ببحث ضخم جدير بالاهتمام ، تقصيت فيه هذه الظاهرة الفنيّة منطلقا من جذورها في العصور الغابرة والعصر الجاهليّ ، وانتهيت إلى عصر صدر الإسلام الذي يبدأ بنزول الوحي على النبيّ ﷺ سنة ١٣ قبل الهجرة ، وينتهي بمقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – كرّم اللّه وجهه – في رمضان سنة ٤٠هـ ، فاستقيت منه مادة بحثي معتمدا أدعية القرآن الكريم ، وأدعية الرسول – صلّى اللّه عليه وسلّم – وأدعية بعض الصحابة الذين برعوا في هذا الفن وبخاصة الإمام عليّ بن أبي طالب – كرّم اللّه وجهه .

وهذه الدراسة في إطارها العام تتكون من خمسة فصول :

اهتمّ التمهيد بجذور الدعاء السابقة لعصر صدر الإسلام ، والعصر الجاهليّ ، واخترت لذلك بعض الديانات السابقة كالزرادشتيّة ، والهندوسيّة ، والمسيحية واليهودية ، ثم درست الدعاء في الجاهليّة بشكل مستفيض معتمدا على المصادر الموثقة عن ذلك العصر والطقوس التي كان يمارسها الجاهليون في دعائهم .

وكان الفصل الثاني بعنوان ((آفاق أدب الدعاء)) النثريّة ، درست فيه النثر الفنيّ بين الجاهليّة ، وصدر الإسلام ، وصلتها بالدعاء في صدر الإسلام .

ثم وقفت الفصل الثالث على دراسة : (أدب الدعاء في صدر الإسلام) بينت فيه آداب الدعاء ، وأهميته الدينيّة والنفسيّة ، والأدبيّة ثم القيم الفكريّة لهذا الأدب .

ودرست في الفصل الرابع تحت عنوان ((الخصائص الفنيّة لأدب الدعاء في صدر الإسلام) جملة من الظواهر المتصلة بالمنهج والأسلوب، ثم قمت في الفصل

الخامس بدراسة فنيّة تحليلة لدعاء الإمام عليّ بن أبي طالب – كرّم اللّه وجهه – في الاستسقاء كشاهد على هذا الأدب ٠

وقد واجهتني في بحثي عقبات كثيرة منها :

أنّني أمام بحث خطير يترتب على الاجتهاد في نصوصه مسؤولية كبيرة مما يدعونا إلى التمحيص والدقة الشديدين في الدراسة والتناول ، قبل أن يسمح لنا في إطلاق الأحكام ، وعرضها بصورة تليق بهذا الأدب الذي يأخذ مكانة مقدسة بين الآداب ٠

ومنها أيضا غزارة المادة العلميّة ، وأقصد بذلك الأدعية المأثورة في القرآن الكريم ، وفي كتب الحديث النبويّ الشريف ، وكتب السيرة ، والمغازي، مع ندرة الدراسات الأدبيّة الخاصة بها ، بل إنّ كلّ ما دُرس في أدب الدعاء لايتعدى كونه أحاديث عامة لاتخصص فيها ٠

وشكري ٠٠٠ وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل الدكتور عمر موسى باشا صاحب الأيادي البيض الذي لم يقف بعرفه عندي ، بل طال بذلك بحثي برعايته ، وتشجيعه المتواصل ٠٠ أقدم له شكرا" يترجم عن نيتي ، ولسان طويتي ٠٠

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمود مقداد فقد كان البداية حيث فتح لي باب البحث ، وأنار لي الطريق منذ بدايته ٠٠ فله مني كلّ الشكر والعرفان ٠٠ حفاظا" على الجميل ٠٠ ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي العاملين في جامعة الكويت ، قسم اللّغة العربيّة على تقديم يد العون لي حين اقتضت الحاجة ذلك ٠

واللّه أسأل أن يوفقني إلى خدمة هذا التراث الأدبيّ العظيم ٠٠

{ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } ٠ صدق اللّه العظيم ٠

الفصل الأول

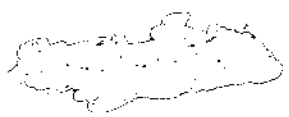

مدخل إلى أدب الدعاء

جذور الدعاء

للدعاء جذور بعيدة موغلة في القدم ، ولا شكّ أنّ تلك الجذور كانت سابقة للمرحلة الجاهليّة .

كان الدعاء ـ ومايزال ـ أحد الوجوه الرئيسة للعبادات جميعها ، وركنا أساسيّا من أركانها . والدعاء يبقي الإنسان في دائرة العبادة للّه تعالى مهما اختلفت الأساليب ، ولكن هل الدعاء متشابه في الأديان ، في ممارساته ، وتصوراته ، ومضامينه ؟..

مما لاشكّ فيه أنّ الديانات التي سبقت الإسلام ، اعتمدت في عبادتها طقوساً خاصّة للتقرب إلى معبوداتها ، وما الصلوات والأدعية إلا صور العواطف التي تفعم القلب البشريّ .

وفي حديثي عن الدعاء في الديانات السابقة لا بدّ من التركيز على فكرة مهمة وهي أنّ أكثر الديانات التي سبقت الإسلام – السماويّة منها وغير السماويّة – قد ركّزت على العنصر الغيبيّ اللاهوتيّ أكثر من تركيزها على العناصر الأخلاقيّة الدينيّة . وقد أخبرنا القرآن الكريم عن بعض ما كان يقوم به أصحاب تلك الديانات من طقوس عباديّة مشوهة سنتحدث عنها في حينه .

وما يهمّنا هنا هو إعطاء فكرة عن بعض هذه الديانات وعن الأدعية التي كانت تُمارَس آنذاك .

ونبدأ بالهندوسيّة ((فالعبادة القديمة عند الهندوس مثلا كانت مؤلفة من مجموعتين من الأفعال : الطهارة والقرابين ، ترافقها مجموعة معقّدة من الأدعية والاستثارات ، وهذا طبيعيّ تماما . ففي عهد طفولة الفكر الدينيّ يكون مفروضا في الآلهة أن تحوز نفس الرغبات والعواطف الموجودة عند الإنسان . وعلى هذا الأساس :

لمّا كان الإنسان يتطلّب لنفسه منافع ماديّة في رغباته فإنّ الآلهة تتطلّب ترضيات وقرابين . وتبرز هذه الفكرة بشكل واضح وصريح في التراتيم الدينيّة القديمة))[1]

---

١ ـ روح الإسلام : ١٨٧

وعلى هذا فإنّ الدعاء عند الهندوس القدماء تعبير عن رغبات شخصيّة ، ومنافع ماديّة يجب أن تتجسد في آلهتهم سِرًّا لفضيلة . ((وكان الكاهن يقدّم الضحية حسب أصول وقوانين ثابتة ، وبينا هو ينشد أنغام (منتراس) وهو يتابع عمليته بشكل ميكانيكي ودون أيّ اعتمال روحيّ أو شعور بالحماس من أيّ نوع كان)) (١) . فالدعاء بصيغه المعقّدة عند الهندوس يعبّر كما هو واضح عن ترنيمات تخلو من الروح المراد منها إشباع رغبة خاصّة .

ومن ثمّ فإنّ روح التعبّد ضئيلة جدّا في مثل هذه الحال؛لأنّ الدعاء لديهم إنّما هو عملية آلية تتلى عند تقديم القرابين للآلهة . فعامّة الشعب يقدّمون القرابين ، وطبقة الكهنة تقوم بعملية الصلاة أو الدعاء .

((أما الزرادشتيّ فالحال عنده غير ذلك . لقد كان هو والصابئيّ يعيشان في جوّ من الأدعية الكثيرة .فالزرادشتيّ الورع يكون يصلي عندما يعطس ، أو يقلّم أظافره ، أو يقصّ شعره ، وهو يتعبّد عندما يعدّ وجبات طعامه سواء في الليل أو في النهار ، وعند اشتعال الفوانيس .. الخ

وكانت تجري استثارة إله الخير (اهرمزد) أول الأمر ، ثم يتلو ذلك إثارة كلّ شيءٍ تقريبا ، ليس السماء والأرض وعناصر الطبيعة والنجوم فحسب،بل الأشجار أيضا ، وخاصة نبتة عباد الشمس . وحتى الوحوش ما كانت لتغفل في هذا المجال . وكان يتوجّب تكرار تلك الأدعية الى حد ١٢٠٠ مرة)) (٣) .

فالأدعية عند الزرادشتيين إنّما هي ترانيم معقّدة أيضا ، يصعب على الإنسان العاديّ أن يمارس طقوسها ومن ثمّ فقد نشأ شكلان من أشكال العبادة .

١- روح الإسلام : ١٨٨

٣- المرجع نفسه : ١٨٩ - ينقله عن كتاب اليهود وغيرهم (زوندنجيه) : ١ / ٣٩٨ .

يقول سيد مير علي في كتابه (روح الإسلام) : ((جاءت شريعة موسى عليه السلام فكانت خلوًا من كل حدود تتعلق بموضوع الأدعية والصلوات ٠ أمّا واجبات الشريعةونواهيها فهي تختصّ بضرورة دفع الأعشار إلى الكهان ، وضرورة الرزانة والوقار أثناء تقديم النتاج الأول من الحيوان للإله ٠ وكان لتلك الحفلة دعاء خاص يتضمّن الاعتراف بمتطلبات الناموس ٠ ويدعو به ربّ العائلة بوصفه يمنح البركة / نيابة عن يهوه / التي منحها لإسرائيل في السابق ٠ وبارتقاء الأفكار الروحيّة عن الإله بين الشعب والحكماء اليهود ،وبانحطاط عبادة الأصنام ، أصبحت طبيعة الدعاء رباطاً يوثّق ما بين الإله والإنسان بتوسّطه بينهما ، قابلة للفهم والإدراك وكانت التقاليد والعادات هي التي جعلت اليهود أخيرا ، قوم صلاة ودعاء ٠ إلّا أنّ الضرورة إلى خدمة الكاهن على كلّ حال ، مضافة إلى انعدام أيّة سابقة إيجابية أوردها المشرّع نفسه ، وقد مالت لتجعل الدعاء – في أغلب حالاته – لا يعدو مجرد التلفظ بعبارات ميكانيكية لا روح فيها ولا خشوع)) (١) ٠

ومن هنا ينشأ دور الكهنة السلبيّ في إفساد الدين عند أصحابه ، فأصبحت طبقة الكهنوت تتاجر بالدين وبغفران اللّه وبركته ٠ ونجد مصداق ذلك في توبيخ القرآن الكريم بني إسرائيل توبيخا شديدا لأنّهم كانوا يبيعون آيات اللّه وذلك في قوله تعالى :

{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ }(٢) ٠

وقوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا

١- روح الاسلام : ١٨٩

٢- البقرة : ٧٩ ٠